

من رواد الحركة العلمية بوادي سوف " ابراهيم العوامر أنموذجا "

يونس تامة، طالب دكتوراه: جامعة باتنة 1

Latolga10@gmail.com-

الملخص:

تعتبر منطقة وادي سوف إحدى الحواضر التي عرفت نشاطا علميا باهرا مثلت امتدا طبيعيا للثقافة العربية عموما والجزائرية خصوصا، فقد عرف القرن 20م بزوغ العالم السوفي ابراهيم بن عامر في وقت انتشر فيه الجهل والمرض، لينير منطقته بعلمه وأدبه وفقهه بعد تعرفه على مختلف العلوم السائدة في عصره من خلال جامع الزيتونة، والتي أهلت له لأن يكون مدرسا من طراز عال بعد تكوينه على يد شيوخ فخام أمثال الشيخ محمد النخيلي والشيخ الخضر ابن الحسين، فلم يكن متعصبا لأي طريقة صوفية فهو يرى باختلاف أسمائها بأنها ترجع الى أصل واحد، عرف الشيخ بأنه كان مفتيا بمحكمة الوادي مستوعبا للأحكام الشرعية، هذا بالإضافة الى شجاعته الأدبية وغيرته الوطنية فكل هذه الحركة العلمية والنشاط الفاعل ساهم في تحصين أهل سوف وحمائتهم من ألاعيب الاستعمار ومكائده الرامية الى تكريس الهيمنة والاحتلال.

الكلمات المفتاحية: سوف، ابراهيم، الزيتونة، العلم، الزوايا.

Summary:

The area of Wadi Suf is one of the cities known for its great scientific activity, which represented a natural

extension of the Arab culture in general and of Algeria in particular. The 20th century marked the emergence of the world of the soviet Abraham ibn Amer at a time when ignorance and disease spread throughout his region. Through Al-Zaytouna Mosque, which enabled him to be a teacher of high class after being formed by the sheikhs such as Shaykh Muhammad al-Nakhili and Sheikh al-Khader ibn al-Husayn. He was not fanatic of any Sufi method. He saw different names as belonging to one origin. The valley is full of love Or legitimacy, in addition to the national literary courage and zeal all of these scientific movement and activity contributed to the active immunization of the people will be protected from the tricks of colonialism and machinations aimed at dedicating hegemony and occupation

Keywords: will, Ibrahim, olive, flag, angles.

1. مقدمة:

عرفت منطقة وادي سوف حركة علمية نشطة، مثلت إمدادا طبيعيا للثقافة العربية عموما والجزائرية خصوصا، فقد أنجبت المنطقة علماء أجلاء نبغوا في شتى مجالات العلم، منهم من انتقل الى البلدان المجاورة أو الى مناطق أخرى من ربوع الوطن للاستزادة بالعلم والمعرفة ومنهم من استقر بالمنطقة يدرس علوم الدين واللغة بمختلف الزوايا والمساجد المشيدة في ذلك الوقت، ولم يكن بروز هؤلاء النخبة من العلماء غريبا، فقد عرف أهل المنطقة بحبهم هؤلاء وتمجيدهم، وسنحاول في هذا العمل الإشارة الى بعض هؤلاء النماذج من الأعلام و الذين كان لهم الفضل في تطور الحركة العلمية بمنطقة وادي سوف، لينصب اهتمامنا على فضيلة الشيخ ابراهيم العوامر. وعلى هذا الأساس يمكن طرح الاشكال التالي: ما مدى مساهمة الشيخ ابراهيم العوامر في النهضة العلمية بمنطقة وادي سوف خلال القرن 20م؟

وما هي البيئة الاجتماعية التي تكون فيها ومسيرته النضالية ؟ وفيما تمثلت مآثره العلمية ؟ وللإجابة على هذه الاشكالية والتساؤلات الفرعية اتبعنا الخطوات التالية:

2. نسب عائلته:

هي من أبناء سيدي عامر بن صالح بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن يعلا بن عبد العلا بن أحمد بن محمد بن عمر بن سليمان بن أحمد بن محمد بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد

انحصر نسل بني عامر الواديين في أحد أبنائه⁽¹⁾، وهو محمد الذي قدم من نواحي مصر الى القيروان ثم استقر بسوف⁽²⁾، وتناسل من هذا ذرية كثيرة وهم: عمار وابراهيم وأحمد وعلي فمن الثاني محمد الساسي فقط، وهو أبو الشيخ ابراهيم وقد انضم العوامر لأولاد بوجديد، بالمصاهرة تنسب العائلة الى قبيلة الشباطة من عرش المصابعة⁽³⁾.

3. المولد والنشأة:

هو الشيخ ابراهيم بن محمد بن محمد بن عامر، الملقب بالعوامر أبو محمد السوفي⁽⁴⁾، وقد ولد الشيخ ابراهيم خلال سنة (1881م-1298هـ)⁽⁵⁾ بالوادي وتربى في بيت متوسط الحال، اذ كان والده بائع صوف ببلده قمار، فكان يساعد والده في صباه وفي نفس الوقت يحفظ القرآن ويحضر بعض الدروس الابتدائية يتلقاها على بعض المتعلمين القماريين في الأجرومية وابن عاشر، فحدث حينها تحول في شخصيته اذ أصبح مولعا بالمعرفة ينشد العلم ويترصده حلقاته بشغف ولهفة ليغترف من مختلف الفنون العلمية، علما أن الشيخ تربى في أحضان خاله عبد القادر بن محمد الجديدي رفقة أخيه البشير بعد فراق أمه عن أبيه⁽⁶⁾.

4. مرحلة الدراسة:

استمر الشيخ في حبه للمعرفة متطلعا للاستفادة من العلم فرحل الى منطقة الجريد في الجنوب التونسي⁽⁷⁾، بحكم قرب منطقة وادي سوف من البلاد التونسية والتي كانت تعيش وضعاً مختلفاً عن حالة الوطن بالجزائر من اضطهاد وملاحقات دائمة للعلماء والمفكرين، وأرض سوف جزء من الوطن بل أكثر محاصرة ومضايقة نتيجة الحكم

العسكري المسلط عليها الذي لا يرحم حتى صغار المتعلمين وذلك باتخاذ لعدة اجراءات تعسفية تتمثل في محاربة التعليم الأصلي وغلق المدارس القرآنية وحجز ممتلكاتها في الكثير من القرى والمداشر⁽⁸⁾، ويمكن القول أن الهجرة الى تونس كانت ضئيلة في القرن 19م بحيث لم يتعدى عدد المهاجرين 100 مهاجر⁽⁹⁾.

ورغم الوضع الاستعماري القائم مكث مدة يأخذ العلم من علمائها البارزين، وبعد عودته الى الوادي ربط صلته بالشيخين عبد الرحمان العمودي ومحمد العربي بن موسى حيناً من الزمن، الا أن الحاح الشيخين وحثهما له على مواصلة طلب العلم شجعه على الذهاب الى تونس من جديد و الالتحاق بجامع الزيتونة⁽¹⁰⁾.

وقد شرع يدرس على يد شيوخ فخام أمثال الشيخ محمد النخيلي والشيخ الخضر ابن الحسين ومحمد الطاهر بن عاشور والشيخ الحسن بن يوسف الذي أوصى تلاميذه فيما بعد بملازمته، وكان هذ الأخير يدرس جوهرة التوحيد ومختصر البخاري لابن أبي جمرة وهو مولع بكرامات الأولياء لا يخلو درس من ذكرهم، وهكذا تعرف الشيخ ابراهيم على مختلف العلوم السائدة في عصره والتي أهلت له لأن يكون مدرسا من طراز عال حتى نال مرغوبه وتحققت جميع أمنائه، ثم رجع الى مسقط رأسه مشمرا عن سواعد الكد والجد⁽¹¹⁾.

4. علاقته بالطرق الصوفية:

لقد ربط الشيخ مصيره بالطرق الصوفية، شأنه شأن مختلف معاصريه من العلماء، سواء كان ذلك منه عن إيمان واعتقاد أو عن تقية ومجارة للعوام لكن دونما تمييز⁽¹²⁾،

حيث كانت الزوايا هي الملاذ الوحيد الذي يلجأ اليه الناس⁽¹³⁾، وقد كانت هذه الطرق كالأحزاب السياسية التي تتنازع البقاء والنفوذ بينها تنشر دعوتها ونفوذها حسب مقدرة دعايتها ومعتنقيها، وهي حالة شبيهة بحالة شعراء القبائل عند العرب فالشاعر هو الذي يرفع شأن القبيلة والقبيلة تتمسك بشاعرها وتفاخر به، والدعاية للأحزاب السياسية كانت قديما من الشعراء بالمدح والثناء الخطب وفي العصر الحديث أصبحت بإنشاء الصحف وتأليف الكتب، وقد ألف الشيخ إبراهيم كتابا تحت عنوان " البحر الطافح في فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح " وهذا الأخير من شيوخ الطريقة الرحمانية، أما الشيخ إبراهيم فقد كان من اخوان الطريقة القادرية هذا ان دل على شيء فإنما يدل على أنه غير متعصب لطريقة دون أخرى وأنه يرى أن الطرق وان اختلفت أسماؤها فهي ترجع الى أصل واحد⁽¹⁴⁾، في حين علاقته بالطريقة التجانية فهي تظهر في كتابه من خلال عبارة "جاء في كناش الشيخ العروسي"، رئيس الزاوية التجانية في قمار أو "جاء في مخدرة الشيخ العروسي"، مما يؤكد هذه العلاقة⁽¹⁵⁾.

1.4 أبرز نشاطاته المختلفة:

اثر رجوع الشيخ من جامع الزيتونة استقر به المقام بوادي سوف فكانت حياته حافلة بالأعمال الجليلة نذكر منها:

-اشتغاله بالمحكمة الشرعية:

بعد انتقال الشيخ من محكمة كوينين للعمل في المحكمة الشرعية⁽¹⁶⁾ بالوادي المجاورة لمقر الملحق العسكرية وذلك يوم 1916/05/18م برتبة باش عدل، أي مساعدة

القاضي في أداء مهامه ونيابته عند غيابه⁽¹⁷⁾، وقد عمل على تنظيم الأحكام بها وتطبيقها وفق الشرع و الفقه الاسلامي لاسيما مذهب الامام مالك، فكان الشيخ هو المرجع والمفتي في معظم القضايا داخل المحكمة وخارجها مستوعبا للأحكام الشرعية، مما جعله يخرج من المذهب المالكي الى مذاهب أخرى قصد تيسير الأمور على الناس مستدلا في ذلك بقوله تعالى: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" الآية 185 سورة البقرة⁽¹⁸⁾.

-نشاطه الاصلاحى:

يقول الامام عبد الحميد ابن باديس بأن " أهل وادي سوف كانوا أرق أفئدة و أصفى عقولا، وأمتن دينا و أسرع اجابة للحق والخير" ويؤكد أنه: " لما ارتفعت دعوة الاصلاح بالجزائر كان في طليعة رجالها نبهاء من وادي سوف المثقفين وعلمائها المستنيرين حيث كان لعدد من أعلام وادي سوف دور ريادي في تأسيس جمعية العلماء والتمكين لمشروعها الاصلاحى والتعليمي والتهذيبى بعد ذلك⁽¹⁹⁾، فقد تم توجيه الدعوة لنخبة منهم لحضور الاجتماع العام التأسيسي للجمعية يوم 05 ماي 1931م بنادي الترقى منهم الشيوخ: ابراهيم العوامر والطاهر وأحمد العبيدي والميداني موساوي وغيرهم⁽²⁰⁾.

وهنا خير دليل على الدور التنويري الذي قام به الشيخ ابراهيم العوامر في وقت كثر فيه النساء و التفسخ الاجتماعى فأنبى عند ذلك أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم، راسما خطة حكيمة بجمعه ثلة من أهل البلد تحت غطاء

المسامرات الدينية التي وجهها لتوعية الأتباع وإيقاظ الضمائر وقد توصل بفضل ما عرف به من شجاعة أدبية وغيرة وطنية فاهتدى على يده خلق كثير وكون لنفسه صفا انضم اليه المئات من أهل القرى المجاورة للوادي، من قرية الزقم بالوادي والبهيمة وحاسي خليفة وعميش وغيرها، حينئذ علا صوت القرآن وانتشر في الآفاق وتكونت في المجتمع السوفي طبقة من المثقفين وجمع كبير من المثقفين⁽²¹⁾.

وقد امتاز الشيخ ببعد النظر حينما اتخذ الزوايا باختلافها وسيلة أخرى لبلوغ هدفه لأن الزوايا في ذلك العهد كانت الرابطة الوحيدة للدين ولأنها تضم العديد من طلاب القرآن، لذا فكر الشيخ في ربط صلته بها جميعا والانتماء إليها دون تحيز⁽²²⁾.

-نشاطه السياسي:

لم يقتصر نشاط الشيخ على التربية والتعليم وتوجيه المواطنين بل تعداه الى العمل السياسي، فقد اشتهر الشيخ بشدة اهتمامه بما يجري في العالم الاسلامي يومذاك من أحداث وتطورات سياسية، فكان يجمع لذلك أتباعه بعد كل عشاء في منزل بحي أولاد حمد اتخذها ناديا وكانت تلك المسامرات التي تتخذ شرب الشاي مظهرها إليها تمتد الى منتصف الليل، يذكرهم بأهم المحربات السياسية مثل حرب تركيا مع البلقان والمجاهدين بحرب طرابلس ضد الطليان⁽²³⁾، والمهجوم الفرنسي على المغرب الأقصى⁽²⁴⁾، وكان شديد التحمس لأهل طرابلس في تلك الحرب حتى أتهم بأن له صلة سرية ببعض مناضليها.

وفي احدى الليالي حمل الشيخ لجلسائه قصيد منسوبة للمدعو محمد السوفي موجهة للمجاهدين من قبيلة غريان الليبية بطرابلس تتضمن تحريضا على قتال العدو والصمود في

وجهه فقرأها عليهم يومئذ، الا أن أكثر الناس في ذلك الوقت يقولون بأنها شعر الشيخ وتعمد أن يتخفى بتلك التسمية مراعاة للظروف الصعبة التي تحيط برجل في مثل مكانته⁽²⁵⁾.

5. أعماله الأدبية والفكرية والفقهية:

كان تراثه الفكري زخما حيث أن الشيخ قد خلف ثروة علمية وأدبية ثرية بها المطبوع والمخطوط، أما كتبه المطبوعة فهي:

- كتاب مواهب الكافي على التبر الصافي⁽²⁶⁾، طبع بتونس عام 1905م، وهو شرح لكتاب مفتي قسنطينة المولد بن موهوب المسمى: التبر الصافي في العروض والقوافي.

- وشطر نظما للشيخ المولود بن الموهوب في ذم البدع سماه: مطلع السعود تشطير أدبية الشيخ المولود⁽²⁷⁾، وهو عبارة عن تشطير نظم المولود بن الموهوب في ذم البدع والابتعاد عن مقاصد الدين، وقد نشره في جريدة الفاروق.

- المسائل العامرية على مختصر الرحبية في الميراث طبع بتونس 1907م، وهو شرح لقصيدة الحاج علي بن الحاج نصر الجريدي عند رحلته الى الحج.

- البحر الطافح في فضائل سيدي محمد الصالح⁽²⁸⁾، وقد عرج فيه على ذكر فضائل سيدي محمد الصالح شيخ الزاوية العزوية (الرحمانية) طبع بالمطبعة التونسية سنة 1907م.

- النفحات الربانية في شرح القصيدة المدنية للشيخ الحاج نصر الجريدي الزبيدي طبع بتونس 1908م⁽²⁹⁾.

- الصروف في تاريخ الصحراء وسوف⁽³⁰⁾، طبع سنة 1977م مشتركا بين الجزائر وتونس وتعرض فيه لتاريخ الصحراء منذ القدم، واستند في انجاز كتابه على بعض المخطوطات كتاريخ العدواني وغيره، وهناك كتب أخرى طبعت في عهد الشيخ الا أنها ضاعت من ذلك قصيدة بعنوان: العز في العرب تحتوي على أربعين بيتا مدح بها ابن قانه شيخ العرب ببسكرة عندما وقف بجانبه وأنقذه من تبعة سياسية تعرض لها من طرف السلطات الاستعمارية، وقد نشرت القصيدة في جريدة البلاغ في 18 مارس 1928م⁽³¹⁾.

6. محنته ووفاته:

وقد تعرض الشيخ لمحنة عظيمة بسبب حادثة بنات الملوح الشهيرة في التاريخ وهي أن بعض رجال سوف ذهبوا قرب مدينة غدامس وغريان الليبية وفجأة تعرضت القوات الايطالية لقافلتهم فقتلت أفرادها على اعتبار أنهم ثوار ليبيا، فطالب الشيخ ابراهيم الحكومة الايطالية بديتهم فأرسلت هاته الأخيرة ديتهم للحاكم الفرنسي بسوف الا أنه لم يسلمها لأرامل الرجال المقتولين وهن "بنات الملوح" فقام الشيخ يدافع عنهن ويطالب بحقهن، فأغضبت تصرفاته الحكام الفرنسيين ليكون جزاءه النفي والنقل الاجباري الى مدينة أولاد جلال⁽³²⁾.

أثرت ظروف الدهر ومحن الحياة في حالة الشيخ خاصة فراق أحبابه وخلانه وأساتذته ومرييه، وزادته حالات النفي والابعاد مشقة ووحدة⁽³³⁾، فبعد مكوثه مدة في أولاد جلال نقل الى مدينة تقرت والتي قضى بها سنة واحدة اعتراه بها مرض شديد اضطره الى الرجوع

لمسقط رأسه وادي سوف التي التحق فيها بربه سنة (1932م-1353) بعد حياة مليئة بالجد والجهاد والعلم والارشاد فرحمة الله رحمة واسعة وأسكنه في زمرة عباده الصالحين⁽³⁴⁾.

7. خاتمة:

ومجمل القول أنه كان لنصيب منطقة وادي سوف من هذا الخير العميم الذي قدمه الشيخ ابراهيم العوامر، منظما للعدالة حاكما بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم، ومدرسا رصينا بمسامراته الفقهية والسياسية، كما كان أديبا ومفكرا ومؤرخا كبيرا نال بذلك مكانة مرموقة في مجتمعه وبين أهله وخلانه حتى يعود الأمل والنشاط والحيوية وتتسع دائرة الحركة العلمية، وذلك تحقيقا للتغيير المنشود وإيمانا بضرورة العمل الجماعي وشعورا بثقل المسؤوليات ومتطلبات الدور التاريخي المنتظر من شخصيته الواعية والصافية المثقفة، كل هذه الحركة العلمية والنشاط الفاعل الذي قام بها أحد أكبر العلماء والمفكرين من أهل سوف على مر التاريخ ساهمت في بلورت وبعث الوعي الديني والإصلاح الاجتماعي والتجديد الفكري وتعميق الحس الوطني والسياسي وتحصين أهل سوف وحمايتهم من التلوث بالأغريب الاستعمار ومكائده ودسائسه الرامية إلى تكريس الهيمنة والاحتلال، وقد كتب الله لهذه التضحيات والمسااعي والجهود المخلصة لعالم سوف الشيخ ابراهيم العوامر أن تغلب وتنتصر على كل المناورات والعراقيل وأن تتلقاها الأمة بقبول حسن واستشراق متزايد وأن تسقط كل المحاولات المعادية سقوط الأوراق الميتة اليابسة أمام ثبات أهل سوف وتماسكهم واعتزازهم بماضيهم المجيد.

8. الهوامش:

- (¹) ابراهيم العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجليلاني بن ابراهيم العوامر الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ط1، ص287.
- (²) سعد بن البشير العمامرة: **من أعلام وادي سوف**، مطبعة مزوار، الجزائر 2007، ص30.
- (³) عاشوري قمعون: **الشيخان " الشيخ ابراهيم بن عامر والشيخ الهاشمي حسني "**، مطبعة مزوار، الوادي، 2010، ط1، ص21.
- (⁴) عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، ط2، ص182.
- (⁵) وقد ذكر عاشوري قمعون في كتابه بأن تاريخ ميلاده هو 1975. أنظر: عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص21.
- (⁶) عاشوري قمعون، المرجع نفسه، ص19.
- (⁷) سعد بن البشير العمامرة، المرجع السابق، ص30.
- (⁸) عبد الحميد بسر: **الشهيد الطالب العربي قمودي**، مطبعة مزوار، الجزائر، 2014، ط1، ص14.
- (⁹) ابراهيم شويخ وآخرون: **اسهامات مهاجري وادي سوف في الحياة الاجتماعية والاقتصادية المحلية 1918-1969 من خلال المصادر**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ط1، ص25.
- (¹⁰) سعد بن البشير العمامرة، المرجع السابق، ص30.
- (¹¹) عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص25.
- (¹²) ابراهيم العوامر، المصدر السابق، ص20.
- (¹³) عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص46.
- (¹⁴) ابراهيم العوامر، المصدر السابق، ص21.
- (¹⁵) عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص49.

- (16) بن سالم بن الطيب بالهادي: **سوف تاريخ وثقافة**، مطبعة مزوار، الوادي، 2008، ص 61.
- (17) عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص 49.
- (18) سعد بن البشير العمامرة، المرجع السابق، ص 31.
- (19) جمال زواري احمد: **مساهمة أعلام وادي سوف في تأسيس الصحافة الاصلاحية في الجزائر (1925-1940)**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عد: 09، قسم العلوم الانسانية جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، ص 164.
- (20) أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 102.
- (21) سعد بن البشير العمامرة، المرجع السابق، ص 31.
- (22) ابراهيم العوامر، المصدر السابق، ص 12.
- (23) سعد بن البشير العمامرة، المرجع السابق، ص 31.
- (24) موسى بن موسى: **الحركة الاصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900-1939)**، مذكرة ماجستير تخصص تاريخ الحركة الوطنية، جامعة قسنطينة، 2005، ص 164.
- (25) سعد بن البشير العمامرة: المرجع السابق، ص 31.
- (26) عادا نويهض، المرجع السابق، ص 182.
- (27) أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار البصائر للنشر والتوزيع، ج 2، الجزائر، 2007، ط 1، ص 192.
- (28) علي غنايزية: **مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986**، مطبعة مزوار، الجزائر، ص 34.
- (29) عادل نويهض: المرجع السابق، ص 182.
- (30) مديرية الثقافة لولاية الوادي: **أعلام سوف**، شركة مزوار للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، 2006، ص 09.
- (31) سعد بن البشير العمامرة، المرجع السابق، ص 32.

⁽³²⁾ سعد بن البشير العمامرة، المرجع السابق، ص 23.

⁽³³⁾ ابراهيم العوامر، المصدر السابق، ص 13-14.

⁽³⁴⁾ عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص 61.